الدرس 13: نظرية التحليل الدلالي: النظرية التوليدية التحويلية

أوّلا: مفهوم النظرية التوليدية التحويلية

هي في الحقيقة نظريتان متكاملتان، فالنظرية التوليدية عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل.

أما النظرية التحويلية فتُعْنَى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف والاستبدال والإضافة وتغيير الموقعية على الجمل النواة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة.

فالقواعد التوليدية : هي القواعد التي تولد الجمل المقبولة في اللغة، في حين أنها لا تولد جملًا غير مقبولة في اللغة ؛ لأن اللغة على حد تعبير تشومسكي تتكون من " (مجموعة ـ متناهية أو غير متناهية ـ من الجمل)، كل جملة طولها محدود ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر، وكل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب تتوافق مع هذا التعريف؛ وذلك لأن كل لغة طبيعية تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات (أو مجموعة محدودة من الرموز الكتابية) ، مع ذلك فإنها تتنتج أو تولد جملًا لا نهاية لها. " .

فالتوليدية إذن نسبة إلى توليد الجمل أو إنتاجها بكم كبير وبشكل غير متناهٍ، مع التنويه إلى أنها مرتبطة في أساسها بالجانب العقلي لإنتاج الجمل أو ما يسمى بالبنية العميقة للغة.

أما القواعد التحويلية : فهي القواعد التي تحول البنية العميقة للغة إلى البنية السطحية بوساطة عناصر التحويل المختلفة : كالحذف، والزيادة، وتغيير الترتيب.

بمعنى أنها تنتقل من المرحلة العقلية إلى المرحلة الملموسة كتابيًا أو نطقًيا.

أما سبب تسميتها بالتشومسكية : فنسبة إلى الباحث الأمريكي **أفرام نعوم تشومسكي*** رائد النظرية التوليدية التحويلة في اللغة.

ثانيا: أصول النظرية التوليدية التحويلية

من الواضح أن تشومسكي أقام هذه النظرية مرتكزًا على أسس عقلية منذ أن نشر كتابه (التراكيب النحوية سنة 1957م)، حيث " سعى إلى إقامة نظرية عامة للغة، تصدر عن اتجاه عقلي؛ لأن اللغة عنده عمل عقلي يتميز به الإنسان عن الحيوان، وقد تأثر في ذلك بما جاء عن الفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت) في القرن السابع عشر الذي أصّل فكرة (الطابع الإبداعي والخلّاق في اللغة)، وذلك عند تفريقه بين الإنسان والحيوان على هذا الأساس، يقول ديكارت:

)لا يوجد كما هو جدير بالملاحظة أي إنسان مهما بلغت درجة بلادته أو غباوته إلّا ويستطيع أن يركب

كلمات متنوعة في تركيب واحد، وأن يؤلف خطابًا يعبر من خلاله عن أفكاره، وعلى العكس من ذلك لا يوجد أي حيوان آخر يقوم بذلك.

إن نظرة تشومسكي العقلية للغة وأنها خاصة بالجنس البشري فحسب، تسير بنا إلى نقطة مهمة وهي قضية اكتساب اللغة وتعلمها لكن تشومسكي لا يسلّم بالنظرية السلوكية في اكتساب اللغة، حيث يرى " أن النظرية السلوكية للاكتساب غير قادرة على تفسير هذه القضية، وتقف عاجزة عن تفسير هذه القدرة التي تمكّن الطفل من بناء جمل نحوية، ويفترض أن الإنسان قد وهب ملكة لغوية أو قدرة لغوية، وأن الطفل يولد مزودًا بقدرة دقيقة من الأصول النحوية الكلية التي تمكنه من التعرّف على ما يسمعه من كلام يتردد من حوله، وهذه الأصول اللغوية الكلية هي جزء مما نسميه العقل، وقد ظهرت هذه الفكرة واضحة جلية في كتاباته الفلسفية وبخاصة في كتبه (اللغة والعقل، و علم اللغة الديكارتي، و ملامح النظرية النحوية" . ربما لا يكون تشومسكي قد أصاب في كل انتقاداته للنظرية السلوكية في اكتساب اللغة وتعلمها، وربما يكون قد غالى في مسألة الملكة اللغوية والقدرة اللغوية ولا سيما لدى الطفل الذي لم يتسنَّ له سماع اللغة بأصواتها ونحوها السليم من والديه أو أشخاص قبله، فلو أمكن أن يوضع طفل في معزل عن المتكلمين ولم يسمع أي لغة قط فأنّى له أن ينطق لغة متكاملة بمفرده ؟.

ثالثا: مفهوم النحو التوليدي التحويلي

1-النحو التوليدي:

وهو الوصف الدقيق للغة من اللغات، مع تحديد الإمكانيات التعبيرية، وبهذا نكون قد تجاوزنا فكرة أن النحو التوليدي مجرد وصف، إلى محاولة تحديد مجموع الإمكانيات التعبيرية الكامنة عدد مستخدم اللغة، بالمخزون اللغوي لديه يفهم جملا وتعابير لم يسبق له أن سمعها، فالمتكلم بواسطة المخزون اللغوي يتجاوز التصنيف إلى بناء المثل، والأنماط النحوية التي هم نظم من القوانين، وبهذا ينتج جمل من جمل أخرى سليمة نحويا. [1]

وهذا النحو عند "تشومسكي" هو تشخيص القدرات اللفظية عند الفرد، كما يمثل أيضا العوامل اللغوية الصرفية التي تتدخل في أفعال الكلام، والأداء اللغوي. النحو عند "تشومسكي" " يأخذ شكلا عقليا2، كما لا يفوتنا أن نذكر مهمات النحو التي عددها "تشومسكي":« من مهمات النحو العادية أن يقوم بتحديد

2-النحو التحويلي

يتمثل في إحداث تغيرات مختلفة وفي اعداة ترتيب البنية ومقوماتها التي هي موضوع التحليل، والنحو التحويلي: قد يكون بالتحويل البنيوي للتركيبة، وقد يكون باستبدال بنية هذا التركيب بالزيادة، أو بالحذف أو التغيير.[4] فمثلا لنا عبارة مولدة من الأصل المؤلف من:

النفي+ الولد+ في الحاضر+ مطالعة+ القصة. مما يخلص كالتالي:

النفي+ مركب اسمي+ زمن+ فعل+ مركب اسمي.

هذا التصنيف يؤدي إلى التحويل بالنفي في الجملة التالية:

الولد لا يطالع القصة، كما أن هناك تحويل أخر يسمى العقب، وهو يحدث في الأخير لهذا سمي باسم التحويل النهائي [5] وكل تحويل يسمى باسم التحويل الذي حدث وفقه: كالتحويل الوصلي، التحويل النهائي....إلخ.

وهناك التحويلات الزائدة المثبتة، والتيتزحزح المقومات الأصلية، وتأتي بعد الحملة أو قبلها فإنها اختيارية، غير أن المقوم الذي يؤدي إلى التحويل كالاستفهام أو البناء للمجهول، أو النفي، فإنه يمكن التصرف فيه. [6]، ويميز تشومسكي بين نوعين من التحويلات حسب نوع التغيير المقصود: فهناك تغيير لجملة واحدة أو لجملتين في الأصل فالأول يكون فيه التغيير مفردا، في الثاني يكون التحويل ثنائيا أو موسعا [7] فالأول تحويل إلى المجهول(كتب) تحويل مفرد، والثاني تحويل بالموصول.

رابعا: مكونات النظرية التوليدية التحويلية

1-القواعد أو الملكة اللغوية

هي «المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة»[8] أي هي ملكة ذاتية خاصة بمتكلم اللغة، الذي ترعرع في بيئة تتكلم بها- اللغة- ، ونجد أن ابن خلدون قد تطرق لهذا المفهوم في كتابة المقدمة، وقد عرفها بما يلي«إن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية، لا بنفس كيفية»[9] أي هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة وهي قائمة في ذهن المتكلم.

إن الملكة هي القدرة التي تتكون لدى الفرد المتكلم، وتمكنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعدد لا نهائي من الجمل، كما أن "تشومسكي" يسمى الملكة اللغوية بالقدرة الفطرية على إنتاج الجمل وفهمها.[10]

ومن مقومات هذه الملكة اللغوية معرفة القواعد النحوية، والصرفية بالإضافة إلى مجموعة أخرى من القواعد التي أطلق عليها القواعد التحويلية ، كما أنه قيل أن مصطلح المكلة يقابل مصطلح اللغة عند ديسوسور.

2-الأداء الكلامي

الأداء الكلامي أو الإنجاز هو التجسيد المادي لنظام اللغة في إحداث الكلام، فهو إذن خروج الكفاءة اللغوية من حيز القوة إلى حيز الفعل، وهو أيضا عبارة عن الجمل التي ينجزها المتكلم في سياقات التواصل المختلفة، ويعرفها زكريا ميشال بقوله: «الأداء الكلامي هو الاستعمال الآلي للغة ضمن سياق معين»[11]،

3-الحدس

أعطى تشومسكي للحدس مكانة هامة، يتضح ذلك جليا في قوله ليونز " «إن تشومكسي قدم حدس صاحب اللغة، على أساس أنه دليل مستقل لكن الشرح الذي يقدمه هذا الحدس عده دليلا ثانويا للمهمة الأساسية لتوليد الجمل، أما في عملية الأخيرة فقد اعتبر حدس أبناء اللغة جزاءا من المادة اللغوية التي تقوم القواعد بدراستها، وأصبح الآن يعتمد على صاحة الحدس أكثر من ذي قبل، عندما كان مهتما باختياره بواسطة تقنيات عملية مرضية»[12]،

4-الإبداعية

الإبداع يكون في الأداء الكلامي أكثر، وهو يخضع لقواعد اللغة، بمعنى أنه يأتي وفقها أو يحدث تغييرا تسمح به القواعد، كما أن الإبداع الخاضع للقواعد، هو إبداع حقيقي لأنه رغم هذا الخضوع يستطيع المتكلم أن يولد عددا لا محدودا من الجمل الصحيحة، التي تسمح بها من قبل،أي أن الإبداع يكون أكثر على الرغم من خضوعه للقواعد، كون أن القواعد بطبيعتها مرنة بعض التغيرات كالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة...إلخ، كما أن الإبداع قد يمس اللغة، وأن كانت قاسما مشتركا بين الناس، كونها ليست عملا قد انتهى منه مستعمل اللغة مرة واحد، بل هي عمل من طبيعته أن لا ينتهي وأن يتجدد أبد- هناك ألفاظ تدخل اللغة، وأخرى تحذف حسب الحاجة العامة، ومرد هذا كله إلى المستعمل.

5-البنية العميقة

أول من استعمل مصطلح البنية العميقة هو "تشارلز هكيت" Charls Hockett في مؤلفة الشهير "محاضرة في اللسانيات الحديثة"، وظهر هذا المصطلح عند تشومسكي بطريقة جلية 1965،

فهي التي تعطي التركيب الداخلي (غير الظاهر) للجملة. وهي أيضا مشير يحتوي على كل التتابعات الأولية التي تولد القواعد الركنية، ومن ذلك تصبح علمية التوليد الفئة اللامتناهية من البنى، من اختصاص القواعد الركنية بدلا من أن تكون من اختصاص التحويلات.فالبنية العميقة يمكن أن تفهم من سابقتها وزيادة في التعريف : هي العمليات العقلية للتفكير في الجمل قبل تحويلها لبنى سطحية، بالإضافة إلى " المعنى الذي يفهمه القارئ والسامع عندما يسمع قراءة البنية السطحية ومثال ذلك قولك : ضربت زيدًا جالسًا، فيمكن أن نفهم من الجملة السابقة معنيين هما : ... الحال من الفاعل، .... والحال من المفعول.

6-البنية السطحية

وأول من استعمل مصطلح «البنية السطحية أيضا "تشارلز هكيت"، وهذا المصطلح ظهر عند "تشومكسي" أيضا عام 1955 في نفس المرحلة التي ظهرت فيها البنية العميقة وهي البنية السطحية الظاهرة عند التكلم، والتي تتميز بالتتابع، أو هي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم، نلاحظ أن البنية السطحية هي نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكون التركيبي وأنها الشكل الصوتي النهائي للتابع الكلامي المنطوق حقيقة. أي أن البنية السطحية ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديدي التفسير الصوتي للجمل بواسطتها.

7-الجملة الأصولية

هي الجملة المبنية على نحو جيد، موافق لقواعد اللغة القائمة ضمن الكفاءة اللغوية لمتكلم اللغة، بمعنى أن الجملة الأصولية هي التي تستخدم القواعد النحوية على نحو جيد، أثناء عملية إنتاج الكلام، وهذا الاستعمال، لا يكون بطريقة اصطناعية متكلفة أثناء الكلام بل يكون بطريقة عفوية لا شعورية، وكذلك تعتبر أصولية عندما لا تنحرف عن أية قاعدة من القواعد، أي عندما تراعي القواعد التي تعين بناء العناصر اللغوية وترتيبها، وتوافقها في كل مستويات اللغة.

8-القواعد التوليدية التحويلية:

هي تنظيم القواعد الذي يزاوج بين الأصوات توليد، ودلالاتها الفكرية، الكامنة ضمن المكلة اللغوية، وهذا التنظيم له القدرة على توليد جمل اللغة، كما أن اللسانيات التوليدية التحويلية تصف الجملة وصفا بنياويا يمدنا بجميع المعلومات عن الجمل، عبر القواعد التي ولدتها.

تتخذ القاعدة التوليدية شكل قاعدة إعادة الكتابة، أي قاعدة التي تعيد كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الجملة برمز أخر أو بعدة رموز، وللتوضيح نأخذ الجملة التي تشمل على عناصر التالية الجملة ركن إسنادي+ ركن تكملة.

ثم الرموز المكتوبة على يسار السهم تحول إلى اليمين وتحدد مكوناتها الواحدة تلو الأخرى

2- ركن إسنادي ركن فعلي+ ركن اسمي+ ركن اسمي+ ركن حرفي.

3- ركن التكملة ركن حرفي.

4- ركن فعلي زمن + فعل.

5- ركن اسمي تعريف+ اسم.

6- ركن حرفي حرف جر+ ركن اسمي.

7- فعل حرف جر+ركن اسمي.

8- اسم رجل، رسالة، الصديق.

9- التعريف ال

10- ركن تكملة بالأمس

11- حرف جر الباء.

12- ركن اسمي ال + أمس.

13- ركن اسمي ال + أمس.

من خلال الألفاظ السابقة نستخلص الجملة التالية:

- كتب الرجل الرسالة إلى الصديق بالأمس.

نلاحظ أن الشجر هو تجسيد على شكل شجرة، الآن أطبق الجملة التي اخترناها على شكل مشجر:

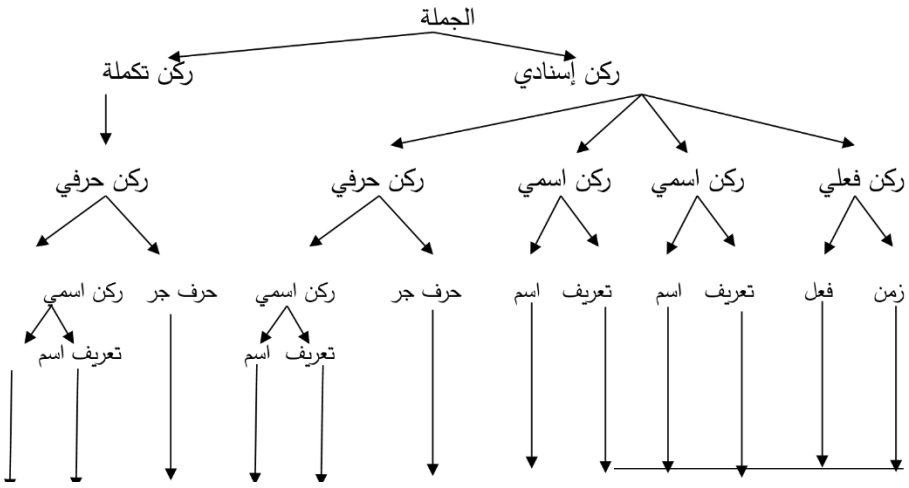

تام كتب الـ رجل الـ رسالة إلى الـ صديق بـ الـ أمس

الهوامش

*تشومسكي: أفرام نعوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky):مولود في فيلادلفيا بنسلفانيا الولايات المتحدة الأمريكية: (1928م _ ....)، عالم لغة وفيلسوف ومؤرخ وناقد وناشط سياسي وعالم إدراكي وعالم منطق أمريكي، أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وألف أكثر من 100 كتاب، تم الاستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة من 1980م حتى 1992م، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق، وصُوت له كـأبرز مثقفي العالم في استطلاع للرأي عام 2005م، ويوصف تشومسكي بأنه أبو علم اللسانيات المعاصر، حيث أسس نظرية النحو التوليدي، التي تعتبر أهم إسهام في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين، ويُعد شخصية رئيسة في الفلسفة التحليلية.

مُنح تشومسكي درجة الدكتوراه في اللغويات من جامعة بنسلفانيا عام 1955م، وأدار جزءا من أبحاثه في جامعة هارفارد كزميل في الجامعة لمدة أربع سنوات، وفي أطروحته بالدكتوراه طوّر تشومسكي بعضا من أفكاره اللغوية، وتوسع بها في كتابه "التراكيب النحوية 1957م"، وهو من أشهر كتبه في مجال اللغويات. انضم تشومسكي لهيئة تدريس معهد ماساتشوستس للتقنية (MIT) في عام 1955م، وعُيّن في عام 1961م أستاذا في قسم اللغات الحديثة واللسانيات، ويسمى اليوم بقسم اللسانيات والفلسفة، ومن عام 1966م حتى 1976م حصل على الأستاذية الفخرية للغات الحديثة واللسانيات، وفي عام 976م عُيّن بروفسورا للمعهد، وفي عام 2010م كان قد درس تشومسكي في المعهد لـمدة 55 عاما متواصلة.

1-بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الامام عبد القاهر الجرجاني، ط1، الجزائر: ديةان المطبوعات الجامعية، 1994، ص231.

(2)- المرجع نفسه، ص222.

(3)- السيد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث الأسلوبية والأسلوب، ط1، الجزائر: دار هومة، (دت)، ج1، ص169.

4-- بنائي محمد صغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، ط1، الجزائر: دار الحكمة، 2001، ص81.

5- المرجع السابق، ص82.

6-المرجع نفسه، ص80.

7-المرجع نفسه،، ص84.

8-زكريا ديشال، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص7.

9- ابن خلدون، أبو عبد الرحمان محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000، ص481.

10- لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة: المكتبة الجامعية، 2000، ص337

11-زكريا ديشال، ص:7.

12-مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص211.